

علم جمال الصورة التلفزيونية

بين العبقرية و الشعرية

د. سمير لعرج

جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل

تمهيد :

لم تعد الجمالية اليوم مقتصرة على دراسة العمل الفني وحده، كما كان ذلك مطروحا في الدراسات الجمالية الحديثة، التي تناولت الظاهرة الفنية (الرسم، النحت، الشعر، المسرح...)، وإنما تعدت ذلك لتصل إلى دراسة الجماليات التلفزيونية (جمالية الديكور، جمالية المكان التلفزيوني، جمالية الألوان...)، كمقابل للجماليات الأخرى، من حيث احتواء التلفزيون للفن، وظهور مصطلح الفن الثامن، بفعل ما قدمه النقد التلفزيوني، من طرح تنظيري للظاهرة الإبداعية الفنية التلفزيونية، في إطار مصطلح حضارة الصورة.

فلقد احتوت عبقرية الصورة التلفزيونية (من خلال البث المباشر عبر الأقمار الصناعية، الصورة الرقمية...)، احتواء صور الانترنت، فنية وجمالية الصورة السينمائية ليس من جانب عرض الأفلام، وإنما من حيث امتدادها إلى عنصر، الشعرية المرتكز على درجة التكثيف النفسي الشعوري لدى المشاهد من خلال تلقي الأحداث الحية المباشرة، كما احتوت هذه الصورة و استفادة من صور الواب 2.0 ، ولقد احتوت هذه الصورة التلفزيونية بعبقريتها، الأجناس الفنية الأخرى، مما أسس لظهور علم الجمال التلفزيوني، الذي أعطى تفسيراً جديداً لبعض مبادئ علم الجمال، وأصبحت المقولات الجمالية الكلاسيكية التي وضعها الجماليون مثل : الجليل - الجميل - السامي - الهائل - المؤثر - الغنائي - البطولي - التراجيدي - الدراماتيكي - الميلودراماتيكي - الكاريكاتوري - الكريه - البشع - القبيح - الهجائي - السخري - الكوميكي - الفكاهي - الغرائي - التصوري - اللطيف - الطلي - الشعري - الغزلي - الرثائي⁽¹⁾ - المضحك - الرقة - الروعة⁽²⁾ ، قابلة للدراسة و التدقيق داخل الجماليات التلفزيونية.

وبناء على هذا، يعالج هذا المقال، علاقة عبقرية الصورة التلفزيونية من حيث جانبها التكنولوجي، بالشعرية، من حيث جانبها السيكوجمالي والسيكوجلالي ، من خلال مقارنة جمالية للصورة التلفزيونية .

1- علم الجمال :

لا نريد هنا ، إعادة تعريف علم الجمال و ذكر سياقه التاريخي كما ظهر لدى بومغارتن سنة 1750 ، و الخلافات التي سادت حول تسمية هذا العلم ، لدى كل من كانط ، و هيغل ، و جورج

سانتيانا ، و بندتو كروتشه ، وشارل لالو ، وغيرهم من علماء الجمال ، وما يهمننا هنا ، هو أن علم دراسة المدركات الحسية كما أسسه بومغارتن ، ينبغي له أن يتسع ليشمل بعض المجالات الروحية ، و الأخلاقية ، ذلك أن لكل أمة تجاربها الجمالية الخاصة بها ، و النابعة من خصوصيتها ورؤيتها للوجود وما بعده.

وبهذا تبدو الصورة التلفزيونية عبر مسارها التاريخي، وفي سياق تطور تكنولوجيا الاتصال قادرة على إنتاج شتى أنواع المقولات الجمالية، وقادرة أيضا على حمل مؤشرات تطوير أسس مقولات جمالية جديدة .

2- مفاهيم الصورة :

"جاءت كلمة "الصورة" من اللاتينية **Imago** ، التي تعني الشبه، و التمثل ، و البورتري،.." (3)

. وجاء مفهومها في التراث النقدي العربي مركزا على العلاقة بين ثنائية اللفظ و المعنى، أو ما يسمى "نظرية النظم"، يقول **عبد القاهر الجرجاني** : "و أعلم أن قولنا " الصورة " إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه، بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا، فكان بين الإنسان من إنسان، و فرس من فرس، بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذلك..." (4)، فالصورة هنا إقامة علاقة بين طرفين يحكمهما العقل، فالمشبه و المشبه به يلتقيان في وجه الشبه الحاصل بينهما، ويبدو هنا أن للمحسوسات دورا كبيرا في بناء الصورة ، و يتأسس هذا البناء على تدخل عنصر الخيال، الذي لا يستطيع أن يخرج بنا عن نطاق الطبيعة، فليست لديه القوة التي تخرجه عن دائرة المحسوسات، يقول محي الدين بن عربي "لأنه (أي خيال) ما تولد ولا ظهر عينه إلا من الحس، فكل تصرفه بتصرفه في المعدومات أو الموجودات، ومما له عين في الوجود أو يصوره بصورة مالها عين في الوجود، و لكن أجزاء تلك الصورة كلها أجزاء وجودية محسوسة لا يتمكن له أن يصورها إلا على هذا الحد" (5).

ولقد حاولت بعض الدراسات الغربية، تقديم تحليل يفسر العلاقة بين الخيال و الصورة، يقول **كلوريدج Coleridge**، متحدثا عن الخيال الثانوي (الإبداعي ، الإبتكاري) " انه تلك القوة التركيبية السحرية التي تكشف لنا عن ذاتها في خلق التوازن أو التوفيق بين الصفات المتضادة أو المتعارضة، بين الإحساس بالحدة و الرؤية المباشرة، بين حالة غير عادية من الانفعال، ودرجة عالية من النظام..." (6).

يبدو من خلال طرح **كلوريدج** أن هناك عبقرية، تجمع بين الجانب النظري للخيال، و الجانب التجسدي له في شكل عمل فني، من خلال وسائط متغيرة ومتعددة...

وبجانب الحديث عن الخيال لدى الدارسين الغربيين، طرح مفهوم الصورة بشكل أعطاها حيوية ودلالة ، يقول ازرا باوند Ezra Pound معرفة الصورة "هي تلك التي تقدم عقدة فكرية وعاطفية في برهة من الزمن"⁽⁷⁾.

إن عملية نجاح الصورة هنا مرتبط بمدى تمكنها من توصيل المضمون إلى المتلقي في زمن معروف ومدرك.

وبالتالي تصبح الصورة حسب ازرا باوند "معادلات للانفعالات الإنسانية..."⁽⁸⁾ وهذا ما أكدته

اليوت t.S.Eliot فيما بعد في نظرية المعادل الموضوعي Objective Corrélatif .

3- الصورة التلفزيونية :

مثلت الصورة التلفزيونية مستويات نجاحها من حيث كونها عاكسة،لما هو موجود في الطبيعة (الواقع الخام) دون إدخال الخيال، كنقل الأخبار وكونها أيضا عاكسة لما ينتجه الخيال الإبداعي، كعرض الأفلام و المسلسلات... لقد لعبت التطورات الحاصلة في ميدان تكنولوجيا الاتصال، دورا أساسيا في هيمنة الصورة التلفزيونية على مضامين صور الوسائل الاتصالية الأخرى،نتيجة الأبحاث التي استفادت منها الصورة "...كعملية ضغط الصور الرقمية، وطريقة البث عن طريق الأقمار الصناعية..."⁽⁹⁾ و الاستعانة بالصور و الفيديوها التي يبثها الصحفي المواطن، مما زاد من حدة الوضوح داخل الصورة، وسرعة بثها وتلقيها،وقلب مسلّمات نظرية جمالية التلقي.

4-الجماليات التلفزيونية :

لقد كان للجماليات السينمائية Esthétique Du Cinéma كفن يدرس الفيلم من حيث مدى توفيقه في استخدام اللقطات و أنواعها، ومدى تناسبها و تجانسها، الدور الكبير في تأسيس الجماليات التلفزيونية، التي هي عبارة عن دراسة علم الجمال للصورة التلفزيونية، باعتبارها إحدى العناصر الأساسية في عملية المشاهدة و التلقي، ولقد ارتبطت تلك الجماليات بالنقد التلفزيوني، الذي أجمع معظم الدارسين على أن بداياته كانت في سنوات الخمسينات، إذ نشر أندريه بازان Bazin Endre "...في فرنسا سنة 1952، أول دراسة نقدية تلفزيونية، ثم أتبعها بعشرات المقالات الأخرى ما بين 1955-1956... وكانت تدور حول البرامج التلفزيونية، حيث كان يتوجه فيها إلى مشاهدين افتراضيين..."⁽¹⁰⁾ ، و في السنوات نفسها ظهر في ألمانيا "...النقد التلفزيوني على يد أكبر الكتاب، حيث تمحورت الدراسات النقدية هنا حول عمليات الإنتاج التلفزيوني، (كالممثلين، و المخرجين،...)..."⁽¹¹⁾ وعملية التلقي".

وبهذا بدأت تتطور الرؤية الجمالية حول هذا الخطاب (النقدي) باعتبارها فنا، ولقد اجتهد معظم الدارسين في تبرير فنية التلفزيون انطلاقا من كون السينما فنا سابعا، و بالتالي يمكن اعتبار التلفزيون فنا ثامنا ولقد تعرضت هذه الفنية إلى جدال بين الدارسين، فمنهم من أقرها ومنهم من نفاها. و الحقيقة أن علم الجمال قادر على استيعاب الرأيين السابقين، من حيث فنية وعدم فنية التلفزيون، إذ بإمكان أي مادة تلفزيونية لا تعتمد الخيال الإبداعي، في مبنائها، أن تكون أكثر إيحائية وجمالية، من مادة أخرى تعتمد ذلك الخيال، فالمناظر و الصور التلفزيونية العاكسة لجمال الطبيعة كافية لوحدها أن تقدم جمالية، أكثر من إقحام مواد طبيعية في مسلسل أو فيلم، وبإمكان صورة تلفزيونية عبر المباشر (الحي) أن تقدم جمالية أكثر من صورة تم تسجيلها ثم بثت.

وبهذا يعتقد، أن علم الجمال قد أخذ طريقه إلى التلفزيون في منتصف القرن العشرين، ويرى بيار سورلان Pierre Sorlin أن "...التفكير الجمالي حول التلفزيون قد بدأ يتطور، حيث انتقلنا من حقل التجربة إلى البث للجمهور العريض، ولقد استفادت هذه النظرة من البحوث النظرية حول السينما، في استعمالها مناهج التحليل ..."(12)

ولمحاولة إعطاء الخلاصة المميزة للصورة التلفزيونية، قسم بورتسكي الأنواع التلفزيونية الرئيسية إلى ثلاثة أقسام (13).

1- الأنواع الإخبارية.

2- الأنواع الصحفية.

3- الأنواع الفنية و التمثيلية .

إن تجلي وبروز الجمالية في التقسيمات السابقة، يبدو جليا واضحا في الأنواع الفنية و التمثيلية، ويبدو ناقصا بعض الشيء في النوع الأول الذي يبدو غير حامل للجمالية، و تبدو الصورة التلفزيونية الإخبارية دالة على الحدث ومجرياته فقط، لكن الطرح المعاصر للظاهرة الجمالية وعناصرها، أكد أن علم الجمال قادر على ولوج ميدان دراسة الصورة التلفزيونية باعتبارها منتوجا قادرا على إحداث التأثير...

إن تناول علم الجمال للعملية الإخبارية التلفزيونية يعطي للصورة التلفزيونية الإخبارية وظيفة أخرى، هي وظيفة إخبارية جمالية. بمعنى آخر، تحصل على التجربة الإخبارية لدى المشاهد عن طريق ما يسمى بالتزامنية أو التوافقية *simultanéisme*.

ويفترض بعد ذلك حدوث تجربة أخرى مبنية على التجربة الإخبارية، حيث يضيف إليها المشاهد أحاسيسه، وعواطفه، و وجدانه، وينتج هنا ما يسمى شعرية الصورة التلفزيونية، ومن ثم بروز جماليات المشاهدة و التلقي.

الجانب الآخر الذي يستطيع علم الجمال احتواءه داخل العملية الإخبارية التلفزيونية، هو دراسة مقدم الأخبار جماليا، من حيث طريقة استعمال اللغة، وطريقة استخدام الوجه وملامحه، طريقة الجلوس، جمالية الشكل. ولا ينبغي لجمالية وجه وشكل مقدم الأخبار، أن تكون أكثر إثارة لدى المشاهد، حتى لا ينصرف ذهنه عن بنية الأخبار .

وهناك جانب آخر، للصورة التلفزيونية الإخبارية، يجعلها تقترب إلى الجمال الطبيعي، من خلال استخدام بعض الأنواع الصحفية كالروبورتاج، التحقيق...، و يتجلى ذلك في التغطيات الإخبارية التي تركز على ما يسمى الجماليات البيئية، و جماليات المدينة، من خلال تقديم وعرض الصورة التلفزيونية، (الأماكن المتسخة، سوء تفريغ القمامات، التلوث البيئي،.... مقابل تقديم وعرض صور معاكسة لما تم تقديمه في الأول...)، و بذلك تكون جماليات الخطاب الإخباري قد أبرزت مجمل خصائصها، وإضافة لهذه الأنواع يمكن الحديث عن نوع آخر، هو التغطية التلفزيونية اللامنقطعة، مثل: ما تبثه قناة القرآن الكريم السعودية، حيث نتلقى من خلال هاته القناة، أشكالاً مختلفة لشعرية الجمال وشعرية الجلال، من خلال الصلوات الخمس، الطواف بالكعبة، السعي بين الصفا والمروة .

إن معيارية و مقاييس الجمال و الجلال تجعلان من عملية دراسة الصورة التلفزيونية جماليا أمراً صعب المنال، ذلك أن "... تطبيق علم الجمال على الفنون البصرية، كالسينما و التلفزيون أكثر تعقيداً..."⁽¹⁴⁾، وأعتقد أن مكن ذلك راجع إلى أن ذروة الاجتهاد في علم الجمال قد بلغت أوجها مع **كانط وهيجل** في مجال الفنون المعروفة كالرسم، والنحت، والشعر،... وهذا في غياب السينما والتلفزيون، ويبدو في ظل هذا النقص الواضح في الدراسات الجمالية التلفزيونية أن الأسس الجمالية التي وضعها منظروا علم الجمال لدراسة مجمل الفنون قد لا تكون كافية لاستيعاب مضامين الصورة التلفزيونية، ذلك أن هذه الصورة، قد احتوت معظم الفنون (كالرسم، الرقص، الموسيقى، الشعر،...)، و من ثم لا يمكن بحال، دراسة مركبات تلك الصورة بنتائج الجمالية التقليدية فقط، وبهذا يمكن تجاوز هذه الجمالية التقليدية بمحاولات نحت مفاهيم ومصطلحات نابعة من تجربة تلقي الجمال و الجلال التلفزيونيين .

لقد أكدت الصورة التلفزيونية من خلال البث المباشر أن صورة حدث حي وهو يتشكل، يعكس قمة الجمالية في أوجها، ومن هذه الرؤية الجمالية، تبرز لنا ثنائية أساسية، في عملية نجاح الصورة التلفزيونية، هي ثنائية، العبقرية و الشعرية.

5-عبقرية الصورة التلفزيونية :

يبدو من خلال هذه التسمية أن هناك تفوقا تمارسه الصورة التلفزيونية، فالعبقرية المقصودة هنا هي القدرة على تقديم مشاهد وصور تتسم بالتجديد، في طلاقة و سرعة، وسهولة، وتوافقية، لعناصر الصورة، وهي تتشكل و تتكون، مما يصحب عمليات التلقي و المشاهدة، بالشعور بالراحة، و اللذة و المتعة البصريتين ، أو الشعور بالاضطراب و الألم ، أو الشعور بالخشوع ، و الطمأنينة القلبية..
وتبدو لنا ملامح العبقرية التلفزيونية جلية واضحة، من خلال العناصر الآتية :

أ - قلب المكان :

تركز الصورة التلفزيونية ، في بنائها للمكان السمعي، على المكان الفني، (الاستوديو)، والمكان الطبيعي، اللذان يتشكلان من : الموقع -الاتجاه -الحجم -الملمس -اللون. (15)
ويعطى للمكان الفني أبعاد مختلفة ومواضع متعددة بفعل عنصر الخيال الإبداعي أو الإبتكاري.

كما يعطى للمكان الطبيعي صفة التدعيم للمكان الفني، من حيث التصوير خارج الاستوديو (الغابة، البحر، الجبل...) وتكون عملية التصوير هنا خاضعة للانتقائية.
ويبقى المكان الطبيعي، كما هو في الطبيعة، عنصرا أساسيا في بناء الصورة التلفزيونية، من حيث درجة تأثيرها في المتلقي، ويظهر ذلك مستوى نقل الأحداث الحية على المباشر. حيث لا يمكن للمكان الفني أن يعوض ويمثل المكان الطبيعي مما يؤكد انفصال و استقلال جمالية كل مكان عن آخر.

هذا الطرح، يرجع بنا حيث كان للمكان الفني التلفزيوني (الأفلام، المسلسلات، الحصص، الندوات...) تفوق على المكان الطبيعي لكن تكنولوجيا الاتصال، أحدثت تراجعا للمكان الفني لصالح المكان الطبيعي، وهذا ما عملت عليه عبقرية الصورة التلفزيونية في قلب منزلة المكانين، باحتوائها لصور الانترنت ،مثل فيديوهات الصحفي المواطن، وبثها اللامنتقط لمشاهد الطواف في بيت الله الحرام..

ب - قلب الأزمنة :

لا يمكن بحال فصل المكان عن الزمان، فهما متلازمان لا ينفصلان، وتبرز عبقرية الصورة التلفزيونية في توظيفها للأزمنة المعروفة (الحاضر، المستقبل، الماضي) في أنها تراعي خصوصية كل زمن، من حيث (اللباس، الديكور، التجميل، التقبيح...) و لقد ساد الاعتقاد في توظيف الأزمنة التلفزيونية (المعقدة) أن الخيال هو المسيطر و الموجه للواقع، من حيث الكم الهائل من الأفلام، و المسلسلات...، التي تروج لهذا الخيال، حتى أضحت الصورة التلفزيونية في مجملها بعيدة عن المعادل الموضوعي للواقع.

لكن يبدو أن لتكنولوجيا البث المباشر، الأثر الفعال في إحداث نوع من التراجع للخيال التلفزيوني، لصالح الواقع و الصورة التلفزيونية الحية، فمثلا على مستوى أفلام الكوارث، نلاحظ أنها تعجز في تقديم ما قدمته الصورة الحية على المباشر، للكارثة نفسها و هنا تبرز عبقرية و جمالية الصورة التلفزيونية مرة أخرى، و العبقرية الأخرى التي تضاف للصورة التلفزيونية، هي ملازمتها للزمن المقدس، المرتبط بالأذان، و الصلوات الخمس، والطواف، والسعي بين الصفا والمروة.

6-شعرية الصورة التلفزيونية:

لا يمكن بحال، فهم شعرية الصورة التلفزيونية، بمعزل عن عبقريتها ذلك أن تجلي هذه العبقرية مكنها الصورة، و بناؤها، و الأثر النفسي البصري الناتج لدى المتلقي.

تطرح عادة دراسات الصورة التلفزيونية، عدة مصطلحات تحاول احتواء السر الذي يجذب المتلقي إلى محتوى هذه الصورة فهناك مصطلح "الغنائية البصرية" و مصطلح "بلاغة الصورة" و ارتأينا هنا استعمال مصطلح آخر، هو "الشعرية" للدلالة على درجة التناسق بين التكثيف النفسي الشعوري الموجود في الصورة و طريقة التعبير و العرض و أشكال التلقي و التفاعل، و سنستعمل تعبير شعرية الجمال و الجلال للدلالة على الإبداع الجمالي، و تعبير ما فوق الشعرية للدلالة على امتزاج الأثر النفسي بالبعد الروحي ..

و يمكن الاقتراب من هذا المدلول من خلال ما يلي:

أ- الرباط النفسي و الصورة التلفزيونية:

يبني هذا الرباط على ما يسمى التجربة الشعورية لدى القائم بالاتصال (كاتب السيناريو، الممثل، المخرج...)، التي يشترط فيها درجة الصدق الفني، و النضج، حتى تبلغ إلى المشاهد، وللتدليل على ذلك، نأخذ بعض الأفلام السينمائية الجزائرية الثورية التي احتوتها الصورة التلفزيونية، حيث نحس ونحن نشاهد بأن هناك نوعا من الرباط النفسي الشعوري يجذبنا إلى عمق الصورة التلفزيونية، باعتبارها عاكسة لنوع من الشعرية، الدالة على الإبداع.

ويبرز عنصر الرباط النفسي هذا، في مستوى آخر من الصور التلفزيونية، وهي الصورة الإخبارية الحية، حيث يكون الصدق و الدقة في عملية النقل المباشر بمثابة التجربة الشعورية لدى القائم بالاتصال، كما تحدثنا عنها سابقا، ويمكن لهذا الرباط النفسي أن يبني لدى المتلقي (ظروف المشاهدة الجيدة) من خلال تشكل تجربة شعورية إخبارية، فمثلا، فيضانات جنوب شرق آسيا في أواخر 2004، جعلتنا - كمتلقين - نتعاطف مع الناس الفارين من الموج، ونحس أن حقيقة الصورة التلفزيونية، قادرة أن ترقى بنا إلى تجربة جمالية ناتجة بدورها عن التجربة الشعورية الإخبارية، ويبدو هنا أن إحساس الجمال و الجلال هو وحده القادر على احتواء مضمون شعرية الصورة الإخبارية.

ب-الرباط الروحي و الصورة التلفزيونية :

ينبني هذا الرباط على ما يسمى التجربة الروحية ، حين يصبح المشاهد يعيش حالة مافوق الشعرية ،وحالة "أنوار عالم الجلال".

وبهذا كله الذي سبق، سنحاول استعراض بعض الصور التلفزيونية، بلقطاتها، محاولين استنطاق شعرية جمالها وجلالها، وذلك من خلال بعض الصور المباشرة لقناة القرآن الكريم السعودية.

7-لقطات الصور المباشرة لقناة القرآن الكريم: إن تحليل وقراءة هذه الصور المباشرة، في

إطار الشعرية، يكون ناقصا، وبالتالي سنحاول تدعيم عنصر الشعرية هذا، بما يزيد من القيمة الاتصالية والتواصلية لهذه الصور بلقطاتها المتنوعة، وسنستخدم لذلك، شعرية الجلال، وشعرية الجمال للتعبير عن حالة ما بعد الشعرية؛ أو حالة ما فوق الشعرية.

تمت عملية التقطيع الفني لمجموع اللقطات لبعض صور قناة القرآن الكريم في 21 من شهر

رمضان؛ يوم 2013/07/30 ؛ وكانت كالاتي (وبتصرف):

- بدأنا عملية التقطيع الفني، في حدود الساعة (3:5سا) صباحا، بلقطة أفقية كبيرة للطائفين حول الكعبة، وعكست هذه اللقطة الطواف، بحركية في أوج، وفي أبداع وأجمل وأجل صورة تلفزيونية على المباشر؛ مما ولد لدى المشاهد معاني متعددة ومتنوعة، تركت بعدا نفسيا يفوق الشعرية ويتعداها إلى ما فوق الشعرية؛ أو ما بعدها لأن الموقف النفسي هنا يكون قد أمتزج بالمعرفة القرآنية؛ ومعانيها المتعددة المعجزة..؛ وهنا يتأسس الحديث عن جمالية، وجمال اللقطة التلفزيونية في نقلها لصورة الطائفين؛ فالموقف هنا ليس مجرد تذوق عمل فني بلغ أقصى درجات الإبداع؛ وإنما الموقف هنا، هو جلال حامل للدهشة؛ والرهبنة والخشوع والرجاء..؛ ومما زاد اللقطة جمالا وجلالا؛ هو مصاحبة تلاوة القرآن الكريم للصورة (قراءة المقرئ: أحمد الطربلسي) ؛ ثم حركة الطائفين بلباس الإحرام؛ الأبيض الناصع؛ عكس حركة عقارب الساعة..

- بعد هذه اللقطة؛ جاءت لقطة أخرى، للساعين بين الصفا والمروة ،وهي لقطة كبيرة (3:5سا)، أبدعت في حركية السعي بين الصفا والمروة .

- بعد هذه اللقطة؛ جاءت لقطة أفقية للطائفين؛ لمشهد يوحي بالعظمة والجلال؛ ثم الانتقال إلى لقطة أخرى للطائفين؛ متشبثين، بجدار الكعبة وفي هذا دلالة نفسية إيمانية؛ تفوق الشعرية؛ لتستقر في البعد الجمالي والجلال؛ لهذه اللقطة ...

- وبعد هذه اللقطات والمشاهد؛ تأتي لقطة أخرى؛ تمثل الجمال والجلال في تركيبها، وهي صورة الكعبة المشرفة (لقطة قريبة جدا)، تركز على غطاء الكعبة...، ثم مباشرة لقطة أخرى مقربة، تصور الكعبة، الطائفين، ومقام سيدنا إبراهيم..؛ وبعد هذه اللقطات تأتي لقطة جانبية قريبة، للطائفين، مع الركن اليماني، حاملة الجمال والجلال..

- وفي حدود (4:32سا) صباحا، رفع آذان الفجر؛ مع لقطة مقربة للمئذنة والساعة (المؤذن: توفيق بن عبد الحفيظ خوج) ؛ وفي هذا؛ أبعاد إيمانية وجمال للسمع، وجلال للسمع أيضا؛ يغيب لعنصر الشعرية هنا وجود؛ لتتحول عملية سماع الآذان إلى جلال السماع والتلقي..؛ وبعد نهاية الآذان؛ قدم لنا المخرج لقطة للمحيط الخارجي للمسجد الحرام؛ وهي لقطة أفقية تبين إقبال المصلين على الصلاة، وتلبية الآذان..، مع تلاوة دعاء "اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته" هنا؛ في هذا الجو الداخلي للمسجد الحرام؛ تتولد معاني ودلالات جليلة، وعظيمة جراء المشاهدة والتلقي، لمجموع هذه اللقطات؛ خاصة مع الحركة الشاملة للوجود التي عملت كاميرات التصوير على إبداعها..؛ وبعد سماع الدعاء ؛ يقدم لنا المخرج لقطات مقربة لبعض المصلين، وهم يرفعون أيديهم بالدعاء، وتستمر جل اللقطات بأنواعها في تأطير الخطاب التلفزيوني المباشر، (لقطات السعي بين الصفا والمروة، لقطات للمصلين داخل المسجد، لقطات للطائفين، لقطات للمصلين وهم يرفعون أيديهم بالصلاة...).

وتأتي لحظات إقامة الصلاة (4:45 سا) بلقطة أفقية للمصلين ثم تبعثها بعد ذلك لقطات مقربة لمجموع المصلين؛ يؤدون تكبيرة الإحرام.

مما يوحي بجلال التكبير وعظمة دلالاته؛ ويقدم لنا المخرج لقطة مقربة لمجموع المصلين ينصتون لقراءة الفاتحة...؛ وفي ذلك جلال للسمع، وجلال للتلقي؛ الذي ينتج الحلاوة؛ والخشوع..؛ ويتحدد بذلك جلال المعنى وإعجازه.

إن لتأطير الخطاب التلفزيوني المباشر للصلاة؛ بالوقوف لها، وبركوعها، وسجودها؛ والجلوس للتشهد فيها، دلالة على جمال وجلال التجمعات البشرية حيث تكون هذه التجمعات البشرية محققة للتناسق والإيقاع، مع حركة الوجود؛ ومع تعاقب الليل والنهار؛ وذلك من خلال تغطيات الصلوات الخمس ..

إن شعرية الجمال والجلال؛ تبقى مستمرة في حركية الزمن؛ من خلال استمرار الطواف بالكعبة بعد الفراغ من الصلاة وفي هذا دلالة على إعجاز الحركة المستمرة اللامقطعة من خلال الخطاب التلفزيوني.

8- من شعرية الصورة إلى الخشوع بالصورة: إن لقطات (قناة القرآن الكريم) التي تحدثنا عنها؛ وحللنا نفسياتها؛ وتركيباتها؛ تخبرنا أن جماليات التلقي الكلاسيكية، تبقى عاجزة في تقديم جلال الصورة؛ وجمالها؛ فالمتعة الجمالية؛ واللذة الجمالية، المتولدتان من تلاقي المتلقي، مع مضمون العمل الفني أو الأدبي، غير قادرتين على تأطير التجربة التلفزيونية للمباشر الحي؛ وبالضبط صور (قناة القرآن الكريم) ويمكن هنا الحديث عن إمكانية استبدال المتعة واللذة الجماليتين؛ بالحلاوة والخشوع، حيث تتحول الشحنات الإيمانية الموجودة في لقطات الصور التلفزيونية إلى المشاهد والمتلقي؛ وغالبا ما تتوج هذه المشاهد بالبكاء، والتفاعل الداخلي، مع معاني اللقطات التلفزيونية.

خلاصة :

لاحظنا من خلال مسار هذا المقال أن علم جمال الصورة التلفزيونية قد امتد إلى احتواء مقولة جمالية لم تتل حظها من الدراسة والبحث ، وهي مقولة شعرية الجمال ،وشعرية الجلال ،حيث لاحظنا أن تجربة الجلال تطلب الرباط الروحي ،الذي ينقلنا إلى حالة الخشوع ، و الطمأنينة القلبية .
ولذلك ينبغي على الدراسات الجمالية التلفزيونية البحث في أسرار هذه المقولات و التعمق أكثر في أبعادها.

الهوامش

- 1- شارل لالو .مبادئ علم الجمال.ترجمة مصطفى ماهر ،مراجعة يوسف مراد، دار إحياء التراث العربي ،1959 ،ص 103 -
بتصرف-
- 2- عبد الحميد خطاب .الجمالية و الفن عبر التوجيه الفلسفي ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،2011،ص ص 114 ، 117 -
بتصرف-
- 3- Etienne Sauriau .Catégorie esthétique ,Centre de Documentation Universitaire .Paris 1990 ,P
.856.
- 4- عبد القاهر الجرجاني .دلائل الإعجاز .تعليق عبد المنعم خفاجي .1969،ص445.
- 5- محمود قاسم .الخيال في مذهب محي الدين بن عربي .معهد البحوث و الدراسات العربية،1969،ص6.
- 6- عاطف جودة نصر.الخيال مفهوماته و وظائفه ،الهيئة المصرية العليا للكتاب ،1984،ص 154.
- 7- مبروك بن غلاب .الصورة الشعرية عند محمد العيد.جامعة القاهرة،كلية الآداب ماجستير ،1988 ،ص15. عن رونيه ويليك و أستن
وارين .نظرية الأدب .ترجمة محي الدين صبحي ،1972،ص 241.
- 8- حسام خطيب .تطور الأدب الأوروبي .مطبعة طبرين ،1974،ص463.

- 9- BERNARD TICHIT .L'image haute définition ,la bataille de compatibilité.in : dossiers de l'audiovisuel -
.n°110 juillet –aout 2003.p25.
- 10- Gilles Delavaud.Andre Bazin .Critique De Télévision. In :Jérôme Bourdon ,Jean-Michel Frodon -
.L'œil Critique Le Journaliste Critique De Télévision .Edition De Doeck. Université Bruxelles
2003.P48.
- 11- Knut Hithkethier. La Critique En Allemagne.De L'esthétique A L'égotisme.In : Jérôme.IBID .P.120 -
Pierre Sorlin. Esthétique de L'audiovisieul. Nothon, Paris, 1992. P. 156.-12
- 13-أ. بوريتسكي. الصحافة التلفزيونية. ترجمة أديب خضور. ط1، بناية الصحافة دمشق 1990، ص ص 81، 83.
- 14-رياض عصمت. نظريات الجمال و الفنون البصرية. الإذاعات العربية، العدد:2، 2003، تونس، ص 32.
- 15- طاهر عبد مسلم. عبقرية الصورة و المكان. دار الشروق للنشر و التوزيع، الأردن، ط1، 2002، ص 41 - بتصرف -.